الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما[١]:

قيل لأبي السائب المخزومي: أترى أحدًا لا يشتهي النسيب؟

فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا!

والنسيبُ والتغزلُ والتشبيبُ كلها بمعنى واحد.

قيلَ: الغزل هو إلفُ النساء والتخلقُ بما يوافقهن، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ. وقد نبه على ذلك (قُدامة) وأوضحه في كتابه «نقد الشعرِ».

وقال الحاتمي: من حكْم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه، أن يكون ممزوجًا بما بعده من مدحٍ أو ذم، متصلًا به غير منفصل منه؛ فإن القصيدة مثلها مثلُ خلْق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صحةِ التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتُعفي معالم جماله.

ياليل الصب متى غده[٢]؟:

---

(١) في العمدة: لابن رشيق (٢/ ٩٤).

(٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٣٢).

من نوادر الطرائف ما ذكره (ابن بشكوال) في كتاب الصلة، كما ذكره الحميدي أيضًا، وهو: كان أبو الحسن علي الحصري القيرواني، ابن خالة أبي إسحاق صاحب «زهر الآداب» حافظًا فاقهًا، وأديبًا عالمًا بالقراءات وطرقها.

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في (سبتة) وغيرها، وله قصيدة نظمها في قراءات نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة، وله ديوان شعر. ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة التي أولها:

ياليـــل الـــصب متـــى غـــده أقيـــام الـــساعة موعـــده

وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن عيد الكناني أبو الفضائل المعروف بالقمراوي رحمه الله بأبيات من جملتها:

قـــد مـــل مريـــضك عـــوده ورثـــا لأســـيرك حـــسده
لم يُبـــقِ جفـــاك ســـوى نفـــسٍ زفـــرات الـــشوق تـــصعدهُ
هـــاروت يُعـــنعن في الـــسحـ ـــــر إلى عينيـــك ويُـــستمدهُ
وإذا أغمـــدت اللحـــظ فتكـــ ـــــت فكيـــف وأنـــت تُجـــردهُ
كـــم ســـهل خـــدك وجـــه رضـــا والحاجِـــبُ منـــك يُعقـــدهُ
مـــا أشرك فيـــك القلـــب فكـــم في نـــار الهجـــرِ يُخلـــدهُ

أما قصيدة أبي الحسن علي الحصري القيرواني فهي:

ياليـــل الـــصب متـــى غـــده أقيـــامُ الـــساعة موعـــده
رقـــد الـــسمارُ فأرقـــه أســـفٌ للبـــين يـــردده
فبكـــاه الـــنجمُ ورق لـــه ممـــا يرعـــاه ويرصـــدهُ
كلـــفٌ بغـــزالٍ ذي هيـــفٍ خـــوف الواشـــين يُـــشردهُ

نصبت عيناي له شركًا ... في النوم فتحوز تصيده

وكفى عجبًا أني قنصٌ ... للسرب سباني أغيده

صنمٌ للفتنة مُنتصبٌ ... أهواه ولا أتعبده

صاحٍ والخمرُ جنى فمه ... سكرانُ اللحظ مُعربده

ينضو من مقلته سيفًا ... وكأن نُعاسًا يغمدهُ

فيُريقُ دم العُشاقِ به ... والويل لمن يتقلدهُ

كلا لا ذنب لمن قتلتْ ... عيناه ولم تقتُلْ يده

يا من جحدت عيناه دمي ... وعلى خديه تورده

خداك قد اعترفا بدمي ... فعلام جفونك تجحده

إني لأعيذك من قتلي ... وأظنك لا تتعمده

بالله هب المشتاق كرى ... فلعل خيالك يسعده

ما ضرك لو داويت ضني ... صبٌّ يُدنيك وتبعده

لم يُبق هواك له رمقًا ... فليبك عليه عوده

وغدًا يقضي أو بعد غدٍ ... هل من نظر يتزوده

يا أهل الشوق لنا شرقٌ ... بالدمع يفيض مورده

يهوى المشتاق لقاءكم ... وصروف الدهر تبعده

ما أحلى الوصل وأعذبه ... لولا الأيام تُنكدهُ

بالبين وبالهجران فيا ... لفؤادي كيف تجلدهُ

الحب أعف ذويه أنا ... غيري بالباطل يُفسدهُ

استحسان وضاءة الوجه[1]:

كان لعز الدولة غلام ذكي وضيء الوجه، ولفرط ميله إليه جعله رئيس سرية جردت للحرب، ولم يستحسن المهلبي ذلك منه، فكتب إليه:

ظبـــيٌ يـــرق المـــاء في ... وجناتـــه ويـــروق عـــوده
نـــاطوا بمعقـــد خـــصره ... ســـيفًا ومنطقـــةً تـــؤوده
جعلـــوه قائـــد عـــسكر ... ضـــاع الرعيـــل ومـــن يقـــوده

وكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهلبي!

وفي «خزانة الأدب» للبغدادي ج٣:

الجارية: جميلة من بعيد، ملحية من قريب، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة، فإذا دنت منك لم تكن كذلك، والمليحة هي التي كلما كررت بصرك منها زادتك حُسنًا.

وقيل: الجميلة هي السمينة من الجميل وهو الشحم. والمليحة: هي البيضاء، والصبيحة كذلك، من الصبح لبياضه.

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**حُسنُ الوجه مالٌ**».

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: «**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**».

---

(١) في نفح الطيب.

وقال ابن عمر: قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن».

ونظمها الشاعر فقال:

ثلاثةٌ يذهبن للمرء الحزن ... الماء والخضرة والوجه الحسن

كواكب لا كواعب:

كان عبد العزيز بن سرايا، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق، وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء، كما قد أزرى بزهر الأرض في الربيع، تطربك ألفاظه المصقولة، ومعانيه المعسولة، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة.

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧هـ، ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها: «بأبي الشموس الجانحات غوارباً» وفيها يقول:

أسبَلن من فوق النهود ذوائبًا ... فتركن حبات القلوب ذوائبا
وجلون من صبح الوجوه أشعةً ... غادرن فود الليل منها شائبا
بيضٌ دعاهن الغبي كواعبًا ... ولو استبان الرشد قال كواكبا
سفهن رأي المانوية عندما ... أسبلن من ظلم الشعور غياهبا
وسفرن لي فرأين شخصًا حاضرًا ... شُدهت بصيرته وقلبًا غائبا
أشرقن في حُللٍ كأن أديمها ... شفقٌ تدرعه الشموس جلابيا

وغـرين في كلـلٍ فقلـتُ لـصاحبي: (بأبي الـشموس الجانحات غواربا)
ومُعربـد اللحظـات يثنـي عطفـه فيُخـالُ مـن فـرح الـشبيبة شـاربا
حلـو التعتـب والـدلال يروعـه عتبـي ولـست أراه إلا عاتبـا
عاتبتـه فتـضرجت وجناتـه وازور ألحاظًـا وقطـب حاجبـا
فـأراني الخـد الكلـيم فطرفـه ذو النـون إذ ذهـب الغـداة مغاضبا
ذو منظـرٍ تغـدو القلـوب بحـسنه نهبًـا وإن مـنح العيـون مواهبـا
لا غـرو إن وهـب اللـواحظ حظـوةً مـن نـوره وغـدا لقلبـي ناهبـا

كل فتاة بأبيها معجبة[1]:

أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها:

كريمـةٌ أخوالهـا والعـصبه قبـاءُ ذات مُـرةٍ مُقعبـهْ
كأنهـا حقـة مـسكٍ مذهبـه ممكـورةُ الأعـلى رداح الحجبـه
كأنهـا حليـةُ سـيفٍ مذهبـه أهـوى لهـا شـيخٌ شـديد العـصبهْ
ثـم انثنـت بـه فويـق الرقبـهْ فأعلنـت بـصوتها: أن يـا أبـهْ
(كـل فتـاةٍ بأبيهـا مُعجبـهْ)

(١) في خزانة الأدب جـ١: أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها...

أصل بليتي من قد غزاني[1]:

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي الصقلي المعروف بالقاضي الجليس، ما يدعو إلى الحكمة في غزله، وقد عاش نحوًا من سبعين عامًا، كما تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال، ومن مداعبته:

حيا بتفاحة مخضبة ... من شفني حبه وتيمني
فقلتُ: ما إن رأيتُ مُشبهها ... فاحمر من خجلةٍ فكذبني

وقال أيضًا:

وأصلُ بليتي من قد غزاني ... من السقم الملح بعسكرين
طبيبٌ طبه كغراب بينٍ ... يُفرق بين عافيتي وبيني
أتى الحمى وقد شاخت وباخت ... فعاد لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبيرٍ لطيفٍ ... حكاه عن سنانٍ أو حنين
فكانت نوبةً في كل يومٍ ... فصيرها بحذقٍ نوبتين

وقال أيضًا:

يا وارثًا عن أبٍ وجدٍّ ... فضيلة الطب والسداد
وحاملًا رد كل نفسٍ ... همت عن الجسم بالبعاد
أقسِمُ لو قد طبيت دهرًا ... لعاد كونًا بلا فسادِ

وقال من جناس بديع:

---

(١) في فوات الوفيات.

رُبَّ بيضٍ سللن باللحظ بيضا ... مرهفاتٍ جفونهن جفونُ
وخدودٍ للدمع فيها خدودٌ ... وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

وقال أيضًا:

حبذا مُتعة الشباب يُعْذرُ في حبها الخليعُ العذار
إذ بذات الخمار أُمتعُ ليلي ... وبذات الخمار ألهو نهاري
والغواني لا عن وصالٍ غوانٍ ... والجواري إلى جواري جواري

تشبيب عمر بن أبي ربيعة:

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر، مديدة الجسم، مكتنزة اللحم، على جانب وافرٍ من الجمال، حسنة الصورة، وفي خُلُقها أنفة وعزة وصرامة، حتى أن أبا هريرة رآها يومًا فسبح وقال: كأنها من الحور.

وقد روى أبو الحسن المدائني، عن عمر وأبي طارق بن المبارك، أن عمر بن أبي ربيعة قال يشبب بعائشة ابنة طلحة:

أصبح القلبُ في الحبال رهينًا ... مقصدًا يوم فارق الظاعنينا
لم يرُعني إلا الفتاة وإلا ... دمعها في الرداء سحًّا سنينا
عجلت حمة الفراق علينا ... برحيل ولم تخف أن تبينا
أنت أهوى العباد قربًا ووُدًّا ... لو تواتين عاشقًا محزونا
قاده الطرف يوم مر إلى الحيـ ... ـن جهارًا ولم يخف أن يحينا
وجلًا يرد بركة جندي ... ضوء وجه يضيء للناظرينا
فإذا ظبية تراعي نعاجا ... ومها يُهج المناظر عينا

قلتُ: من أنتم؟ فصدَّتْ وقالت: أمُبِدٌّ سؤالك العالمينا؟
قلتُ: بالله ذي الجلالة لما إذ تبلت الفؤاد أن تصدقينا
أي من تجمع المواسم أنتم فأبيني لنا ولا تكذبينا
نحن من ساكني العراق وكنا قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك أن سألت فمن أنـ ـت عسى أن يجر شأن شئونا
قد نرى أننا عرفناك بالنعـ ـت نظن وما قتلنا يقينا
بسواد الثنيتين وثغرٍ قد نراهُ لناظرٍ مُستبينا

فكانت عائشة تقول: والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط.

وأنبأنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال: دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت: يا أمير المؤمنين، مُرْ لي بأعوان، فصير إليها قومًا يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلًا عليها الهوادج والرحائل.

صُبْحُ المشيب يدل على ليل الشباب[1]:

قال الأمير أسامة بن منقذ:

قالوا نهاه الأربعون عن الصبا وأخو المشيب يجور ثمت يهتدي
كم حار في ليل الشباب فدله صُبْحُ المشيب على الطريق الأقصد
وإذا عددت سني ثم نقصتها زمن الهموم فتلك ساعة مولدي

(١) في خلاصة الأثر (٣/ ٢٦).

الشاعر الغزال[١]:

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني، وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني، وخف على قلبه ما احتواه من دقة المباني، وسُرَّ به سرورًا عظيمًا، ونال من لدنه وُدًّا وتكريمًا، حتى إنه مال إليه، وقربه لديه، فطلب منه منادمته، إلا أنه امتنع لما أدرك جلية الأمر معتذرًا بتحريم الخمر.

فلما أن كان يومًا جالسًا عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها، ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسنًا وضياءً، فما لبث الغزال لا يميل طرفه عنها شغفًا بباهر ما استرعاه منها، وجعل الملك يحدِّثه وهو لاهٍ عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرِّفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أرَ قط مثلها. وأخذ في وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك لملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال، كما سرت الملكة بوصفه لها.

(١) في نفح الطيب (١/ ٤٥١).

غزالٌ قد غزا قلبي[1]:

في كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال -وشهرة اسمه (غزالٌ)- أرسل إلى بلاد المجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وخطه الشيب، ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيمًا وسيمًا، فسألته يومًا زوجة الملك -واسمها (تودُ)- عن سنه، فقال مداعبا: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيب؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم تري قط مُهرًا ينتجُ وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال في ذلك:

كُلِّفْتَ يا قلبي هوى مُتعبًا ... غالبت منه الضيغم الأغلبا
إني تعلقتُ مجوسيةً ... تأبى لشمس الحُسن أن تغربا
أقصى بلاد الله في حيث لا ... يلفى إليه ذاهب مذهبا
يا نودُ يا رود الشباب الذي ... تطلع من أزرارها الكوكبا
يا بأبي الشخصُ الذي لا أرى ... أحلى على قلبي ولا أعذبا
إن قلتُ يومًا إن عيني رأتْ ... مُشبهه لم أعد أن أكذبا
قالت: أرى (فوديه) قد نورًا ... دُعابةً تُوجبُ أن أدعبا
قلت لها: ما بالهُ إنه ... قد يُنتجُ المهرُ كذا أشهبا
فاستضحكت عُجبا بقولي لها ... وإنما قُلْتُ لكي تُعجبا

قال: ولما فهَّمها الترجمان شعر (غزال) ضحكت، وأمرته بالخضاب، فغدا عليها وقد اختضب وقال:

---

(١) في نفح الطيب (١/ ٤٥٠).

بكرت تُحسنُ لي سواد خضابي ... فكأن ذاك أعادني لشبابي
ما الشيبُ عندي والخضابُ لواصفٍ ... إلا كشمسٍ جُللتْ بضباب
تخفي قليلًا ثم يُقشعها الصبا ... فيصيرُ ما سترت به لذهاب
لا تنكري وضح المشيب فإنما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدي ما تهوين من زهو الصبا ... وطلاوة الأخلاق والآداب

غرام أم جنون:

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف محبوبته، ولم يعين لها اسمًا حتى لا يُشهر بها في التشبيب، ولكيلا يعرفها عند العام إلا لمن لمس ودادها من الخاص، وفي الأبيات التي يناجيها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير سحرًا حلالًا، وكان عفيفًا في دقة نظمه، وصفاء تعبيره، فقال:

تمكن مني السقمُ حتى كأنني ... توهم معنًى في خفي سؤال
ولو سامحت عيناه عيني في الكرى ... لأشكل من طيف الخيال خيالي
سمحت بروحي وهي عندي عزيزةٌ ... وجُدتُ بقلبي وهو عندي غالي
وقد خِفتُ أن تقضي عليَّ منيتي ... ولم أقض أوطاري بيوم وصالِ
وهون ما ألقى من الوجد أنه ... صدود دلالٍ لا صدود ملالِ
فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالة ... شددتُ عن الدنيا مطي رحالي

ثم ما لبث أن استرسل في مواجيده، واستلهم مشاعر أناشيده، فقال:

ما بالُ قلبك يستبين ... أبوهِ غرام أم جنون
برح الخفاء بما تجنّ ... فأذهب الشك اليقين

حتى مشى بين الجوا ... نح والضلوع هوًى دفين
وإلى متى قلبُ المُتيـ ... ـم في يد البلوى رهين
شخصت له فيك العُيو ... ن وقُسمتْ فيك الظنون
وسلبت ألباب الورى ... بلواحظٍ فيها فتون
وقوامُ أغصان الريا ... ض وأين تدركك الغصون
الحسنُ في الأغصان فنٌّ ... وهو في هذا فنون
من أين للأغصان ذا ... ك الحُسنُ والسحرُ المبين؟
أم ذلك الورد الجني ... بخده والياسمين؟

سلعوس وسلعسة[1]:

قال إبراهيم بن المهدي: كنت يومًا بحضرة المأمون، فقالت لي (عريب) - على سبيل العبث-: يا سلعوس، فقلت:

أما لعريب أن ترى غير سلعسه ... فكوني كما أنت تكوني كمؤنسه

فقال المأمون على الفور:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن ... هنالك شكٌّ أن ذلك وسوسه

قال إبراهيم: فعجبت من فطنة المأمون. وقلت: كذا -والله- يا أمير المؤمنين قدرت، وإياه أردت!

(١) في إرشاد الأديب (١/ ١٦٣).

عاتكة بنت معاوية:

حدثني الكراني قال: حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: حدثنا صالح بن حسان قال: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن السري قال: حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد -واللفظ لصالح بن حسان، وخبره أتم- قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان فنزلت من مكة بذي طوى، فبينما هي ذات يوم جالسةٌ وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، وإذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها، عليها شُفوفٌ لها، تنظر إلى الطريق، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحي وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا، فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها، وهي غافلة عنه، فلما فطنت له سترت وجهها، وأمرت بطرح الستر، وشتمته، فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه إذ سبني مُدبرًا ... مُستترًا عني بجلباب
سبحان من أوقعها حسرةً ... صُبّتْ على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلبتها ... أبٌ لها ليس بوهاب
أحلها قصرًا منيع الذُّرَى ... يُحمى بأبوابٍ وحُجّابِ

وقال أيضًا:

طال ليلي وبتُّ كالمحزون ... ومللتُ الثَّواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جُملٌ ... كبكاءِ القرين إثر القرين

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـواصِ ميزت من جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها إلى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمرٍ مسنونِ
قُبةٌ من مراجلٍ ضربوها عند برد الشتاء في قيطون
عن يساري إذا دخلت من البا ب وإن كنتُ خارجًا عن يميني
ولقد قلتُ إذ تطاول سُقمي وتقلَّبت ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوى طار نومي أم براني الباري قصير الجفون

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح:

قال ابن بسام[1]: كان المعتصم بن صمادح يومًا مع ندمائه، فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللعب المطرب من الدك، وحضر أيضًا هناك لاعبٌ مصريٌّ ساحرٌ، فكان لعبه حسنًا، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد:

كذا فلتلح قمرًا زاهرًا وتجني الهوى ناظرًا ناضرًا
وسيبك سيب ندى مغدقٍ أقام لنا هاميًا هامرا
وبان ليومك ذا رونق منيرًا كنور الضحى باهرا
صباح اصطبحنا بإسفاره لحظنا محيا العُلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكئوس فما زال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنًا فاتنًا وأحضرتنا لاعبًا ساحرا
وثناه ثانٍ لألعابه دقائقُ تثني الحجا حائرا
وفي سورة الراحِ من سحره خواطرُ دلهت الخاطرا

(١) نفح الطيب (٢/ ٨١٦).

إذا ورد اللحـــظ أثناءهـــا فـما الـوهم عـن وردهـا صـادرا
ومـــن حـــسن دهـــرك إبداعـــه فـــما انفـــك عارضـــها مـــاطرا
وســـعدك يجتلـــب المغريـــات فيجعـــل غائبهـــا حـــاضرا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان:

أهدى المنذر الأكبر[1] إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبرِ ابن أبي شمر الغساني، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال:

إني قد وجهت إلى الملك جاريةً معتدلة الخلقِ، نقية اللون والثغر، بيضاء قمراء، وطفاء كحلاء، دعجاء عيناء، قنواء شماء، برجاء زجاء، أسيلة الخد، شهية المقبل، جثلةُ الشعرِ، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القرط، عيطاء عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميصة الخصر، غرثى الوشاح، رداح الإقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين، رياء الروادف، ضخمة المأكمتين، مفعمة الساق، مشبعة الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف المشي، مكسال الضحى، بضة المتجرد، وهي سموع للسيد، ليست بخنساء ولا سفعاء، دقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تُغذ في بؤسٍ، رزينة حليمة، ركينة، كريمة الخال، تقتصرُ على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأيُ أهل الشرف، وعملها عمل أهل

(١) في الأغاني (٢/ ٢٩).

الحاجة، صناع الكفين، قطيعة اللسان، رهوة الصوت، ساكنة، تزين الولي وتشين العدو، إن أردتها اشتهت، وإن تركتها انتهت.

فارس عربي جميل:

حكى محمد بن إسحاق[1] قال: كنت مشغولًا بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار، وأميل إلى ذكر أيام العرب، وأحب أن أسمعها وأجمعها، فنزل علينا في بعض الأيام فتيان من بني ثعلبة، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم، فمررت بفناء خيمةٍ، وإذا غلامٌ ما رأيت مثله قط حسنًا وجمالًا، له ذؤابتان كأنهما السبح المنظوم، تحت ذلك وجه كالقمر ليلة تمه، وعنده امرأة أحسن منه وأجمل، وأكثر ما أسمع من كلامها: (يا بُني)، وهو يبتسم لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعب عذراء، ولا يرُد لها جوابًا من الاستحياء. فاستحسنت ما رأيت منهما، فدنوت من الخباء، فبصرت المرأة بي، ثم قالت لي: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: لا حاجة لي إلا الذي استحسنت منك ومن هذا الغلام. فقالت: أتحب أن أُسمعك شيئًا من خبره، وهو خيرٌ لك من نظره؟ فقلت لها: هاتي لله در أبيك. فقالت لي: إني حملته تسعة أشهرٍ، فكنا في عيشٍ ضنكٍ كدرٍ، ورزقٍ نزرٍ حقيرٍ، حتى إذا شاء الله أن أضعه، فوضعته - بحمد الله- خلقًا سويًا، فلا وأبيك ما هو إلا أن وضعته حتى منَّ الله علينا، وأجزل وسهل وتفضل، بيُمن وجهه وسعادة طلعته، فسميته (مالكًا) ثم أرضعته حولين كاملين، فلما استتم الرضاع، نقلته من المهد بيني وبين أبيه، فنشأ بيننا كأنه شبلُ أسدٍ، نقيه برد الشتاء وحر الصيف، فلما مر عليه خمسة أعوامٍ،

(١) في العزيز المحلى ص٧٦٢.

دفعته إلى مؤدبٍ يعلمه القرآن، فقرأه وتلاه، ونظم الشعر ورواه، حتى أتم سبع عشرة سنة، فأركبته عتاق الخيل فتفرس، وحمل السلاح فتشرس، ومشى بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ، وأنا خائفةٌ عليه وجلةٌ مُشفقةٌ من الألسنة أن تشينه، ومن الألحاظ أن تعينه، حتى شاء الله أن تصيبنا سنون أجدبت بلادنا، وكاد يهلك كبارنا وأطفالنا، فخرجنا إلى مناهل غير مناهلنا، ونزلنا في غير منازلنا، فخرج أصحابنا لطلب ثأرهم، وخلفه عن الركوب معهم وجعٌ أصابه، فلا وأبيك ما علمنا حتى دهمتنا الخيل من العدو، ولم يتولنا عقلٌ، ولا هدونا، فما كان إلا هنيهةٌ حتى حازوا على الأموال، وانهزم الرجال، وهو في البيت يسألني عن الصوت، وأنا أكاتمه خيفةً عليه، حتى علت الأصوات، وبرزت المخبآت، فلما سمع ذلك ثار كما يثور الليث المنضب، وأسرج فرسه، ثم أفرغ عليه لأمة حربه، وتقلد سيفه، واعتلق رمحه، ثم لحق العدو، فطعن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلا، فرجعوا إليه، فرأوه ولدًا لطيفا، صبيًا ظريفًا، فعطفوا عليه.. وتلقاهم ضربًا بالسيف، وطعنًا بالرمح، حتى هلك أكثرهم وفر الباقون!

غنيه شحاذه:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ... ما سح وابل دمعه ورذاذه

ما زال جيش الحب يغزو قلبه ... حتى وهى وتقطعت أفلاذه

لم يبق فيه من الغرام بقيةٌ ... إلا رسيسٌ يحتويه جذاذهُ

من كان يرغب في السلامة فليكن ... أبدًا من الحدق المراض عياذه

لا تخدعنك بالفتور فإنه ... نظرٌ يضر بقلبك استلذاذه

يأيها الرشأ الذي من طرفه ... سهمٌ إلى حب القلوب نفاذه

درٌّ يلـــوح بفيـــك مـــن نظامـــه ... خمـــرٌ يجـــول عليـــه مـــن نبـــاذه
وقنـــاة ذاك القـــد كيـــف تقومـــت؟ ... وســـنان ذاك اللحـــظ مـــا فـــولاذه؟
رفقًـــا بجـــسمك لا يـــذوب فـــإنني ... أخـــشى بـــأن يجفـــو عليـــه لاذه
هـاروت يعجزُ مـن مواقـع سـحره ... وهـــو الإمـــام فمـــن تـــرى أســـتاذه
تـــالله مـــا علقـــت محاســـنك امـــرأ ... إلا وعـــز عـــلى الـــورى اســـتنقاذه
أغريـــت حبـــك بـــالقلوب فأذعنـــت ... طوعًـــا وقـــد أودى بهـــا اســـتحواذه
مـــا لي أتيـــت الحـــظ مـــن أبوابـــه ... جهـــدي فـــدام نفـــوره ولـــواذه
إيـــاك مـــن طمـــع المنـــى فعزيـــزه ... كذليلـــه وغنيـــه: شـــحاذه

obeikandl.com